الأسطورة في سيرة سيف بن ذي يزن

عنايت راشد صالح صلاحات

المقدمة

تعتمد سيرة سيف بن ذي يزن، في سردها على التاريخ، ولكن هذا التاريخ ممزوج بجو اسطوري.الذي يولد العجائب والغرائب في هذه السيرة. فالسيرة تعد بمثابة جمع الاساطير المنتشرة عبر الحكايات الخرافية والشعبية.

والسيرة مليئة بالاماكن والشخصيات والحيوانات الاسطورية. واعتمد الباحث في بحثه على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، حيث قام برد الاماكن والشخصيات والحيوانات الاسطورية الى أصولها الاولى بالعودة الى كتب التراث الانساني.

وهذا البحث يتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. ففي الفصل الاول تحدث الباحث عن الاماكن الاسطورية مثل جزر الوق واق ومدينة النحاس وجبل قاف والبئر المعطلة والقصر المشيد اما الفصل الثاني:- تناول فيه الباحث الشخصيات الاسطورية مثل سطيح الكاهن وشخصية الهدهاد. وجاء الفصل الثالث ليعرض الحيوانات الاسطورية مثل:- التنين ودابة البحر واله السمك والغول والخروف الاله والغزالة.

ومن الدراسات السابقة التي عثر عليها الباحث من سيرة سيف بن ذي يزن كتاب ذخيرة العجائب العربية "سيف بن ذي يزن" للمؤلف سعيد يقطين. ولكنها لم تسلط الضوء على ذكر المنابع الإصلية لهذه العجائب.

الفصل الأول
الأماكن الأسطورية

تحفل سيرة الملك سيف بن ذي يزن، بالعجائب العربية المختلفة من اماكن وشخصيات وحيوانات، التي مزجت التاريخ بجو اسطوري يثير الخيال والإثارة والإمتاع،لدى نفس القارئ،فالسيرة تعد بمثابة جمع للاساطير المفتتة والمنتشرة عبر الحكايات الخرافية والشعبية. والاسطورة تمثل الاوردة والشرايين للسيرة.ولو اننا جردنا السيرة من الحكايات الخيالية لبقي الشيء القليل.

وراوي السيرة استخدم العديد من الاماكن والحيوانات من الميثولوجيا العربية، المنتشرة في كتب التاريخ والجغرافيا وكتب التراث الانساني.وجعل بطل السيرة يتعامل مع كل شيء خارق وغريب، فهوة يتعامل مع الجن والشياطين والمردة والتنين، ويدور عبر لوح عيروض الى الاماكن الخيالية.

فهذه السيرة أحيت بقايا الأساطير القديمة المفتتة في كتب التاريخ والجغرافيا، ولملمتها في هذه السيرة،وهي تسرد الأحداث الواقعية ممزوجة بالأسطورة. لانه لا يمكن الفصل بينهم، لان بعض الأماكن والشخصيات التي وردت في كتب التراث العربي خاصة في كتب الجغرافيين،على أنها حقائق واقعية، فالوصف يعتمد على الخيال اكثر من الواقع.

ووزع الباحث هذه العناصر على ثلاثة فصول وهي:- الأماكن والشخصيات والحيوانات الاسطورية.

الاماكن الاسطورية

لعب خيال الراويدور كبير في وصف هذه الأماكن،وهذا يبعدنا عن دائرة الواقع، وهذا يتوافق مع وصف الرحالة والجغرافيين في كتب التراث الأنساني فنجد وصفهم خيالي طغى على الواقع.

وهذا يؤدي الى استلهام ذوق السامع،وشد انتباهه،وزيادة تلهفه وشوقه لمتابة هذه الأماكن الجديدة التي لم يسمعها من قبل مثل:- جبل قاف وجزر الوق واق ومدينة النحاس والبئر المعطلة والقصر المشيد.

جبل قاف

يبدو ان هذا الجبل وتفسيره جاء من خيال المفسرين،الذين حاولوا ان يفسروا الغامض من سورة قاف، بالاعتماد على الأسرائيليات، فالقرطبي يقول في تفسيره "هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه،وعليه طرفا

السماء والسماء عليه مقببة،وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل.وقال وهب:"أشرف ذو القرنين على جبل قاف،فرأى تحته جبالا صغار،فقال له:ما أنت ؟ قال: أنا قاف، قال: فما هذه الجبال حولك قال: هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي"

وهذا من خرافات بني اسرائيل التي اخذها عنهم بعض الناس،الذين يأخذون بقول "حدثوا عن بين اسرائيل ولا حرج"

وورد ذكر هذا الجبل في قول المقريزي "زعم قوم أن امهات الجبال جبلان خرج احداهما من البحر المحيط في الغرب آخذا جنوبا وخرج الآخر من البحر الرومي آخذا شمالا حتى تلاقيا عند السد وسموا الجنوبي قاف وسموا الشمالي قاقونا والأظهر أنه جبل واحد ومحيط بغالب سيط المعمور أنه هو الذي سمي بجبل قاف"

وراوي السيرة أضاف عليه الكثير من خياله،حتى يلبي الغرض الديني في نشر الدعوى الإسلامية على شتى بقاع الأرض، حتى في جبل قاف،في سرده يقول:"بأن هرب الحكيمين سقرديس وسقرديوس- أعداء الملك سيف- عن طريق عيروض "المسلم" فيتبعها الملك سيف،لينشر الدين الجديد في كل بقعة يحل بها،ولما عرف الملك سيف أن الذي هرب أعداءه من قبضتنا،فقال له عفاشة:"الإسلام فيها فوائد كثيرة،لأنك فتحت سبعة أودية وساروا على دين الإسلام بعد أن كانوا من الكفرة اللئام.

وأنا ماسك ذلك الخلاف حتى تفتح البلاد بالإسلام حتى حد سابع قلة من قلل قاف".

جزر الواق واق

من الجزر العجيبة التي كثر فيها الوصف الخيالي،سواء من الجغرافيين والرحالة أو من راوي السيرة.

ومن رواية المسعودي قال: إن بهذا البحر الشرقي جزائر الواق وهي من شجر عظام معلقة بشعورها لها ثدي وفروج شبه فروج النساء لا يزال يصحن واق واق فإن قطعت أحداهن سقطت ميتة لا تنطق.

هنا في وصف المسعودي يصحن واق واق،أما في السيرة يسبحن الله،حتى تتناسب مع النزعة الدينية الغالبة على السيرة.

والقزويني يقول: قال محمد بن زكرياء الرازي: يا بلاد كثيرة الذهب حتى ا ناهلها يتخذون سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب، ويأتون بالقمصان المنسوجة من ذهب.

وراوي السيرة استغل هذا الوصف الخيالي من قبل الرحالة ووظفه في سيرته وأعاد بناءه بشكل يتناسب مع سيرته يقول:"إذا رأى الشجر على هيئة بني آدم،وهم بنات جميلات،معلقين من شعورهن في الأشجار،والرياح تطوحهم يمين ويسار.... وإذا اظلم الظلام... ينطقون كل منهما بصياح وزعاق، وأصوات عالية بانطلاق، ويقولون في نطقهم "واق واق سبحان الملك الخلاق"

وبالنهاية حقق راوي السيرة هدفه ونزعته الدينية بأن نشر الإسلام على يد سيف بن ذي يزن.

مدينة النحاس

وردت هذه الأسطورة في كتاب أثار البلاد وأخبار العباد. إذ قال عنها القزويني:"يقال لها أيضا مدينة الصفر. لها قصة عجيبة مخالفة للعادة جدا، ولكني رأيت جماعة كتبوها في كتب معدودة كتبتها أيضا ومع ذلك مدينة مشهورة الذكر.

واختلف في اصل بنائها قال ابن فقيه:ذهب العلماء الاقدمون الى ان مدينة النحاس بناها ذو القرنين واودعها كنوزه وطلسمها،فلا يقف عليها احد،وجعل بداخلها حجر البهتة وهو مغناطيس الناس،فإن الانسان اذا وقف حذاءه جذبه كما يجذب المغناطيس الحديد،ولا ينفصل عنه حتى يموت،وأنه في مفاوز الاندلس.

اما ابو حامد الاندلسي: والصحيح ان سليمان بن داوود،عليه السلام بناها.

والراوي بالتاكيد،يجمع كل ما هو غريب وخارق ويوظفه في سيرته وليثبت قدرة بطله على دخول المكان،مهما كانت صعوبته.يقول اختطفه مارد من الجن وصلبه حتى كاد يهلك،وقد اخبر الحكيم "اليسبان"الملك دمر بن الملك سيف بمكان ابيه قائلا له: واعلم كان المارد الذي اختطف الملك سيف سار به الى مدينة النحاس وقد صلب والدك على ذلك الدولاب، وانه وقع في اهانة عظيمة.

البئر المعطلة والقصر المشيد

لم يكتفي راوي السرة بما ذكره الجغرافيين والرحالة عن الاماكن الغريبة،بل تعدا ذلك الا ما هو موجود في القران الكريم، وكلام المفسرين حوله مثل: قوله تعالى"فكأين من قرية اهلكناها فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد"

فقال في تفسيرها الطبري:بئر

اعطلناها باقناء اهلها وهلاك وارديها فاندفنت وتعطلت فلا وارد لها ولا شارب منها ومن قصر مشيد رفيع بالصخور والجبص قد خلى من سكانه بما ارزقنا اهله من عذابنا بسوء فعالهم فبادو وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم.

وقال السهيلي واما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عامر بن ارم.لم يبين في الارض مثله- في ما ذكروا وزعموا- وحاله ايضا كحال هذه البئر المذكورة في ايحاشه بعد الانيس،واقفاره بعد العمران،وان احد لا يستطيع ان يدنوا منه على اميال،لما يسمع فيه من عزيف الجن والاصوات المنكرة بعد النعيم والعيد الرغد وبهاء الملك وانتظام الاهل.

كالسلك فبادروا وما عدوا،فذكره الله تعالى في هذه الاية موعظة وعبرة وتذكرة، وذكروا تحذيرا من مغبة المعصية وسوء عاقبة المخالفة.

وهذا يتوافق مع ما ذكره راوي السيرة يقول "تتبع آثار اعدائه الى ان يصل الى هذه البئر،ويقضي على الشياطين التي كانت تفتن بالناس لعبادة البئر ف "تقدم البئر،وضرب بالسيف على خلفها فاوقدت النار في ساكنيها،واذا بصياح وزعاق،وصرخات كثيرة من قلب البير ساعة زمانية،ثم هدات الضجات،وبطلت الصرخات فعلم ان كل من في البير احترق.....ومات وامر الملك سيف بن ذي يزن بهدم البير".

الفصل الثاني
الشخصيات الاسطورية
الشخصيات الاسطورية

من الشخصيات الاسطورية،التي اوردها الراوي في سيرته سطيح الكاهن وزاد عليها الكثير فيما يتلائم مع قضيته الدينية في نشر الاسلام على يد سيف بن ذي يزن.

وذكر عن سطيح انه كان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة، ويقال انه كان وجهه في صدره، ولم يكن له رأس ولا عنق،وكان في عصره من اشهر الكهان، واخباره في التواريخ والسير كثيرة.

وقد تنبأ سطيح بدخول الاحباش ارض اليمن، وبعدما دخل الاحباش اليمن قال ابن هشام في ذلك "فذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله "ليهبطن ارضكم الحبش،فليملكن ما بين ابين الى جش"

وسطيح في كتب التراث كاهن،اما عند راوي السيرة فهو شخصية اسلامية،برده للسلام قال عنه الراوي "في اثناء ذهابه الملك سيف الى كنوز سليمان وجد مغارة فدخل الى صدرها،فاذا بسطيح راقدا على ظهره،ووجهه الى السماء،وليس له يدان ولا رجلان، ووجه يتلألأ بالنور،وهو على قيد الحياة،

وليس عنده احد من خلق الله تعالى... فلما نظر الملك سيف الى ذلك السطيح اقبل عليه وهو متحير في امره،،وقال له السلام عليك يا خلقة ربي،فقال السطيح السلام لله ورسوله ولك يا ملك سيف ورحمته وبركاته. وبذلك استغل الراوي هذه المعطيات الموجودة في كتب التراث عن هذا الكائن ووظفها واعاد صياغتها من جديد بما يخدم غرضه، ويساعد بطله في متابعة سيره في نشر الدين الاسلامي.

شخصية الهدهاد

هذه الشخصية، معروفة بشجاعتها، اذ ورد في كتاب التيجان انه "الهدهاد" ابو بلقيس الملكة باليمن، وكان الهدهاد رجلا شجاعا.

وراوي السيرة حولها الى شخصية اسطورية اذ جعل منها شخصية عابد للنار،لا يفوقه احد في كهانته، ولا في سحره حيث قال الملك سيف:"اني صنعت القصر هذا على باب كنز له اربعون بابا،وبين الباب والباب شيء على مائة خطوة وشيء على مائة قدم، وشيء على مائة باع،وشيء على مائة ذراع،وشيد على مائة فرسخ، وهذه الارض المعطشة التي اجريت فيها بحر النيل انا فاحت تحتها وجاعلها كنزا ناقدا على بعض،وكل ما على وجه الارض من حيوان واشجار ومياه لغاية البحر والسمك موجود في ذلك الكنز".

وراوي السيرة كالمعتاد حول هذه القوة والشجاعة، لصالح الدين الاسلامي لينتفع المسلمين بقوته، وكان المقرب من دون الحكماء الى الملك سيف، وهذا اشعل الغيرة في صدر الحكماء فدست له الحكيمة عاقلة السم ومات متأثرا به.

الفصل الثالث
الحيوانات الاسطورية
الحيوانات الاسطورية

راوي السيرة جعل من هذه الحيوانات الاسطورية قوة مساعدة او معرقلة للملك سيف بن ذي يزن.

التنين

هو حيوان خرافي،يظهر في اساطير العالم اما في صورة خير او شرير في الاساطير الاوروبية يظهر على انه وحش شرير،وفي الرموز المسيحية هو الشيطان

هو الشرير جاء في سفر رؤية يوحنا الاهوتي "فقبض على التنين الذي هو ابليس والشيطان وقيده الف سنة وطرحه في الهاوية واغلق عليه،وختم عليه، لكي لا يضل الامم فيما بعده،وهو مستمد من تعامى او تيمان – تنين البحر او الانثى المتوحشة في الاساطير البابلية.

وفي بعض الكتب يوصف هذا الحيوان بانه حيوان واقعي،مثل تفسير الهمام يقول:"فمن رأى انه تحول تنينا طال عمره ونال سلطانا فان اكل كم تنين نال مالا من الملك،والتنين رجل عدو كاتم العداوة وان كان له رؤوس كثيرة فانه يكون فتون كثيرة في الشر والسوء،فان كان له لأسان او ثلاثة او اربعى الى ان يبلغ سبعة رؤوس فكل راس من رؤوسه بلية وفتن من الشر فاذا صارت سبعة رؤوس فليس له نظير في كمال شره وعداوته لا يطاق ولا يقوى به.

اما راوي السيرة وصفه "هو ثعبان ما رأينا مثله، طول جثته يزيد عن عشرين ذراعا وله ذيل يزيد عن عشرين ذراعا فمن الراس الى اخر ذنبه يزيد عن اربعين ذراعا،وله راس في التمثيل قدر راس الفيل،وله قشر على جثته مثل جثة السمك واذا فتح ثمه من بعيد تجد له لسانا مفلوق فلقتين وينفخ في نفسه فيحرق كل من قربه من بني ادم وحيوان...واي مخلوق قرب ينفخ عليه فيذوب من نفخته،ويموت لوقته وساعته.

إله السمك

عرف في الزمان ان عبادةالدجن منتشرة بين الكنعانين – الفينيقين- وقد اكتشفت الواح قديمة تدل على انه كان يعبد باسم "بعل". اله الحنطة، واكتشفت معابد اثرية كرست لهذا الاله في كل من اوغاريت (راس شمرة)،ويعتقد بعض الباحثين ان تمثال الانسان السمكة هو الصورة المفترضة لشكل دجن عند الشعوب القديمة لا تزال اساطير الاله دجن حاضرة بشكل او باخر في التراث الشعبي بمناطق سوريا الطبيعية ومن ادلة ذلك الكثير من الازياء والمعطيات التراثية في مناطق سوريا،او القول ببعض اللهجات العامية – البدوية الشامية"ما ذوقنا الدجن" بمعنى لم تذق الطعام. وهناك عدد من اسماء لقرى ومناطق تعود تسميتها لالهة السورية دجن مثال (بيت دجن) اسم قرية نواحي نابلس في فلسطين وذلك (بيت دجن) قضاء يافا في فلسطين ايضا. وقد جاء وصفها في السيرة عندما رأى الملك سيف صيادا "حامل سمكة مثل بني ادم،وجها وصدرا ويدين وراسا وشعرا...وجسدها مثل الفضة البيضاء النقية الا ان رجلها مثل اذناب السمك".

وهذا الحيوان الاسطوري،وظفه راوي السيرة،لكي ينقذ حياة البطل ويكمل مسره في تحقيق هدفه.

الغول

اضطرب اللغويين في تحديد جنس الغول،فابن منظور يقول في لسان العرب "هو شيطان ياكل لناس.وكل ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول او جنس من الشياطين والجن،وكانت تزعم العرب ان الغول في الفلاة تترأى للناس فتتغول تغولا أي تتلون"

وبعض اللغويين قد فهم هذا اللفظ على نفي عين الغول،لذلك الغول عندهم"حيوان لا وجود له"

اما رواية المسعودي تقول:"قد حكى عن بعض المتفلسفين حيوان شاذ من جنس الحيوان مشوه لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا في نفسه،وهيئته،توحش من مسكنه،فطلب القفار،وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمي في الشكل.

اما راوي السيرة فيقول عنه "فرأى شيخا مقبلا على نحو تلك الشجرة من دون الاشجار فتأمله الملك سيف،واذا هو شنيع الخلقة له وجه مدور كدائرة الترس،واما حنكه وانفه،فهما في وجه قدر حنك وانف الجاموس،وخارج له انياب كانها كلاليب،واذا نه كبار كانها المطارح... ووجه يتوقد شرر.

الخروف

الخروف:حيوان مقدس عند اغلب الشعوب واول من قدسه في ديننا الاسلامي في قصة قابيل وهابيل عندما قدم هابيل قربانا للاله،وهو نوع من انواع الغنم. فاذا تتبعنا التاريخ،وجدنا الخروف مقدس على مر العصور،يعد بمثابة الرمز للمسيح عليه السلام،ويستخدم في التوراة لمحو الخطايا والاثام. كمانه وجد في صور للاله امون على شكل كبش رمزا للخصوبة. والملك سيف نفى ذلك "اعلم ان هذا كبش يذبح ويؤكل ولا يعبده الا كل جاهل،فانه لا يعبد الا الله عز وجل...ثم ان الملك سيف قدم الكيش ونكاه،واطلقه على سور القبة،وذبحه دمه. وبهذا حقق راوي السيرة هدفه،بان جعل بطله،رجل ديني،يريد ان ينشر الاسلام في بقاع الدنيا،فبذبحه الخروف،نفى عبادته.

الغزالة...الحيوان المرضع

من الطبيعي ان كل بطل يمر بالصعاب

حتى يصبح بطل فالملك سيف بن ذي يزن تخلت عنه امه،خوفا من استيلائه على حكمها فقال "هذا عجب عجيب،وامر غريب غزالة تلد ابن ادم،وكان هذا الغلام مكث تحت الشجرة ثلاثة ايام وكانت الغزالة لما اخذ الصياد اولادها،ورجعت ولم تقف لهم على خبر،ولا وقعت لهم على جرة اثر،ووجدت هذا الغلام وهو مرمي مكانهم في تلك البراري وهو يصيح من الجوع،في تلك الفيافي والربوع فحننها الله تعالى،فشفقت عليه وألقت ثديها في فمه، فاخذه ومصه،فاعتدات عليه، ولم تزل كذلك الا ان جاء الصياد، ونظر الى ذلك الايراد"

وهذه القصة مشابهة لما ورد في كتب التراث الانساني،ففي اسطورة روموليوس وريموس،توأم في الاساطير الرومانية،ابنا مارس ورياسيلفيا الاله مارس ارزقهما توأمين روموليوس وريموس،القى بالتوأم في نهر التبير بعد ان وضعهما في مهد واحد. وكانت مياه البحر وقتئذ مرتفعة،ولما استقر الامر،سمع الذئب كانت قد فقدت صغارها صوت التوأمين،فارضعتهما بحب وحنان.

وفي كتاب الحيوان للجاحظ يقول "وكان هناك صبي يلعب مع اجراء كلبه كانت لاهل الدار،فلما رأها الصبي حبا اليها فامكنه من اطباتها فمصها،فظنوا ان الصبي لما بقي في الدار فلما سقط ادامت ذلك له وادام هو الطلب.

ونقل الراوي هذه القصص،وادرجها في سيرته،حتى يجعل من هذا البطل اسطورة تليق به وبشجاعته.

الخاتمة

من خلال هذا البحث توصل الباحث الى النتائج الاتية:-

١- سيرة سيف بن ذي يزن، عبارة عن سرد للاحداث التاريخية القديمة،ولكن عن طريق مزج هذا التاريخ بجو اسطوري، بهدف اثارة السامع ولفت انتباهه.

٢- قامت هذه السيرة بلملمة الاساطير القديمة المبعثرة في كتب التراث الانساني، واعادت صياغتها وفق هدف راوي السيرة، اذ عمد الى تغيير بعض مضامين الاسطورة، لتتناسب مع تحقيق اهداف سيف بن ذي يزن في نشر الدين الاسلامي.

٣- استخدم الراوي كل ما هو غريب وخارق، من اماكن وشخصيات وحيوانات،حتى يثير السيرة ويلفت انتباه القارئ.

٤- عمل الراوي على بناء بطله بناءا خارقا من خلال تعامله مع الاماكن الخطيرة،الخيالية، المشوقة، مثل جزر الوق واق وجبل القاف.

٥- تعامل البطل مع اصعب المخلوقات واقواها،فتعامل مع التنين وقتله ومع الغول ومع دابة البحر،وهذا مما يعطيه قوة خارقة،تساعده على ان يكون بطل اسطوري.

٦- لو جردنا السيرة من الاسطورة،لبقي القليل منها.

المصادر والمراجع

المصادر:-

١- القران الكريم.

٢- سيرة الملك سيف بن ذي يزن.القاهرة:مكتبة الجمهورية العربية.

٣- المنجد في اللغة والاعلام.بيروت:دار المشرق.

٤- ابن منظور:لسان العرب.بيروت:دار صادر.

المراجع:-

- امام،امام:معجم ديانات واساطير العالم.القاهرة:مكتبة مريوسي.
- الاندلسي،احمد بن عبد ربه:كتاب العقد الفريد.بيروت:دار الكتاب العربي.
- الجاحظ،الحيوان.
- الدواداري،ابي بكر:كنز الدرر وجامع الغرر.دار الكتاب الاسلامي.
- القرطبي،محمد:جامع البيان في تفسير القران.بيروت:دار المعرفة.
- القزويني،زكرياء:اثار البلاد واخبار العباد.بيروت:دار صادر.
- المسعودي:مروج الذهب ومعادن الجوهر.بيروت:دار المعرفة.
- المقريزي،طقي الدين:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار.القاهرة:شارع جواد جني.
- الهمام:تعطير الانام في تفسير الاحلام.
- ابن كثير القرشي الدمشقي،عماد الدين:تفسير القران العظيم.بيروت:دار الاندلس.
- ابن منبه،وهب:التيجان في ملوك حمير.صنعاء:دار الكتبا العربي.
- ابن هشام:السيرة النبوية.
- يقطين، سعيد: ذخيرة العجائب العربية "سيف بن ذي يزن".بيروت:المركز الثقافي العربي.

المواقع الالكترونية:-

- Https.//ar.m.wikipedia.org-wiki
- http://www.q8baqer.com/aticleinfo.aspx?id=1606.wdcq7hkgGC